

الخطبة الحادية والتسعون ولو دخلوا جحر ضب لدخلتموه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ومن تبعه إلى يوم القيامة.

أما بعد:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لتبعن سنن الذين من قبلكم، شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو دخلو جحر ضب لاتبعتموهم، قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟» البخاري: كتاب الاعتصام، مسلم: كتاب العلم. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع، فقيل: يا رسول الله كفارس والروم؟ فقال: ومن الناس إلا أولئك؟» البخاري كتاب الاعتصام. السنة أي: الطريقة، والسنن أي: المناهج والعادات؛ أي: تقليد اليهود والنصارى في عاداتهم وطبائعهم ولبسهم ومسكنهم وطريقة معيشتهم... والمقصود من ذلك: ما كان مخالفاً لشريعة الله ورسوله، أو كان مخالفاً للفتنة التي خلق الله الناس عليها. وقوله ﷺ فارس والروم: لأنها كانت الأمم الظاهرة المتمكنة في الأرض، فتقليد أي أمة أو أي حضارة كانت في مخالفة ديننا العظيم وفطرتنا السليمة هو ما حذر منه عليه الصلاة والسلام، وهذا التقليد وهذه المتابعة صورها رسول الله ﷺ فقال ﷺ: «شبراً بشبر وذراعاً بذراع» أي: أننا نصبح حريصين ومهتمين جداً بتقليدهم ومتابعتهم، إلى درجة أنهم لو دخلو جحر ضب لدخلناه، فلماذا من كل الحيوانات كلها ما اختار رسول الله ﷺ إلا الضب؟! -والله أعلم- لأن جحر الضب لا مخرج منه؛ أي: متى دخلته عقلت به إلا أن تخرج من حيث دخلت، وكأنه يقول: إنك لن تخرج حتى تخرج من

حيث دخلت بالكلية؛ أي: أنه لا يوجد نصف خروج أو ربعه، إما أن تخرج بالكلية أو أنك داخله. والنقطة الثانية: أن جحر الضب مظلم ضيق ومنتن رائحته كريهة جداً، وهذه عادات القوم بين يديك: الطلاق نتيجة الغش والعلاقات المحرمة، والقمار، وأكل أموال الناس بالباطل، والتعامل الحرام، والأناية، وانعدام الرحمة، وعلاقات الآباء والأمهات، وعلاقة الآباء بأولادهم، والخمر والزنا، والوشم المُقرف، ونفخ الشفة، ووخز الأذنين والشفتين والمنخرين وبعض أجزاء الجسم الأخرى، مما ينافي الفطرة والخلقة السوية التي خلقنا الله سبحانه وتعالى عليها ثم عدم التطهر من النجاسات المغلظة والمخففة، ثم هذا اللباس للرجال والنساء من عري وتفلّت، ثم هؤلاء الشباب والبنطلونات التي تنحسر عن نصف مؤخرته حتى يظهر لباسه الداخلي، ويمسك بنطاله بيده حتى لا يسقط عنه بالكلية! يا سبحان الله! انظر إلى أولادنا ألا ترى التقليد؟

ثم انظر إلى شعورنا وكيف نطول شعرنا أو نحلقه حتى صار بعض الأولاد يحلق حلقة القزع المنهي عنها، وما ذلك إلا تحقيقاً للتقليد الأعمى فهو ليس جميلاً وليس جذاباً، وإنما التقليد والتشبه هؤلاء الذي فسدت فطرتهم، وفسدت أمزجتهم وصاروا يفعلون كل قبيح وكل شاذ تحت مسمى الحرية الشخصية، ونحن نقلدهم ونتشبه بهم (فإننا لله وإنا إليه راجعون)، ثم قضية متابعة الأبراج وتصديقها والاهتمام بها، فصار الرجل لا يخرج ولا يعمل إلا وفق هذه الأبراج، وقد قال رسول الله ﷺ: «من أتى عرفاً فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد» صحيح الجامع. ومن التشبه بالكفار: اختلاط الشباب بالبنات، وهذا مسجدنا وهذه ساحات مسجدنا ترى الشباب والبنات، والتبرج والموضات والمكياجات وروائح العطور التي تشم من كذا وكذا مسافة، وضحكات البنات والتغنج الذي يأخذ بلب الشباب والمزاح والنكت... ثم هذه الحفلات والأعياد، عيد ميلاد فلان أو فلانة، والهدايا ورسائل الواتس أب، والفيس بوك، وحفلة فلان وفلان للتخرج، وحفلات توديعات السفر واستقبال المسافرين، هذه الحفلات المختلطة كلها لا تجوز وكلها من باب التشبه بالكفار.

ثم حلق اللحي للشباب والمياعة في السلوك والكلام والتخنث، فهذا ليس من الفطرة وليس من الإسلام، فأنت رجل مظهرًا وسلوكًا وكلامًا. ثم هذا التبذل والدناءة في الكلام واستعمال الألفاظ البذيئة والسباب والشتم والتحقير للغير، هذا ليس من الإسلام. قال عليه الصلاة والسلام من رواية ابن مسعود: «ليس المؤمن بالطعان ولا باللعان ولا الفاحش البذيء» حم - حب - ك، وعن أبي رزين رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «المؤمن كمثل النحلة لا تأكل إلا طيبًا ولا تضع إلا طيبًا» طب - حب، وعن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أفضل المؤمنين أحسنهم خلقًا» هـ - ك.

ثم هذه الزينات، زينة رمضان، وزينة رجب أو شعبان، أو زينة الحاج رجع من الحج أو العمرة، كلها تشبه بغير المسلمين، وبزينة أعياد رأس السنة وأعياد الميلاد... كل هذا تشبه بغير المسلمين... ثم هذه النكات التي تطلق على الشعائر الدينية نسمعها على الواثس، كل هذه النكات هي استهزاء بشعائر الإسلام أو بالمسلمين، وتشويه صورة رجل الدين والازدراء منه والسخرية منه، كل هذا لا يجوز وتشبه بالمشركين. ثم المسجد وحرمة المسجد وارتفاع الأصوات في المسجد والنقاشات الصاخبة، وأحاديث الدنيا في المساجد واللعب بالهواتف قي المساجد، كل هذا مُخل بحرمة المسجد وقديسيته. عن أنس أن رسول الله قال: «يأتي على الناس زمان يتحلقون في مساجدهم وليس همتهم إلا الدنيا، ليس لله فيهم حاجة فلا تجالسوهم» صححه الذهبي وأخرجه الحاكم في مستدركه (4/359).

والروائح الكريهة لملابسنا التي تأتي بها إلى المسجد، والجوارب المتسخة ذات الرائحة المميته، كل هذا مخالف لقوله تعالى: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: 31/7]، وقوله عليه الصلاة والسلام: (لو دخلو جحر ضب لدخلتموه) كل المسلسلات تشبه بالكفار، كلها خيانة زوجية، وقتل، وسرقة، ومقالب، ومؤمرات، دعوة إلى الانحراف، دعوة إلى الفسوق، دعوة إلى التحلل، مسلسلات غنائية ورقص وفجور، نترك التراويح ونترك الذكر ونترك قيام الليل على هذه البرامج التي لا ترضي الله سبحانه ولا ترضي من يخاف الله سبحانه وتعالى وليست من عاداتنا وتقاليدنا، فإلى الله المشتكى.

يا عباد الله، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحریم: 6/66] وقال ﷺ: «إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار» من حديث العرياض بن سارية - أبو داود.

يا عبد الله، أنت مأمور من الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَنفَرَكُ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: 6/153]، وقوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [البقرة: 2/138]، وقوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ ءَاسَلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [آل عمران: 3/83]، وقوله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر: 39/66]، وقوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ [الأنعام: 6/114-115]، ومعنى (كلمة ربك) أي: قرآنه، فيه الصدق والعدل، لا تغيير ولا تحريف ولا تبديل طَبَّقَ كما أمرت.

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم» رواه البزار - صحيح، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٌ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة: 5/51]، وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوعًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ ءَاتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُفْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [المائدة: 5/57].

يا عباد الله، لا يجوز التشبه بالكفار، وإنما لكبيرة خاصة وأنا نعيش بين ظهرائهم، فيجب تحصين أولادنا، يجب أن نخاف عليهم وعلى عقيدتهم وعلى مسلكهم. أخرج مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: «رأى رسول الله عليّ ثوبين مُعَصْفَرَيْنِ، فقال ﷺ: أملك أمرتك بهذا؟ قلت: أغسلهما؟ قال ﷺ: بل احرقهما» وقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال لي رسول الله ﷺ: «إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها» رواه مسلم (2077).

ودخل أبو بكر رضي الله عنه على امرأة من أحمس يقال لها: زينب، فرآها لا تتكلم، فقال: ما لها لا تتكلم؟ قالوا: حجت مصمتة، قال لها: تكلمي فإن هذا لا يحل، هذا من عمل الجاهلية. فتكلمت» البخاري (3834).

فالتشبه بالكفار والأخذ بمسالكهم واتباع نهجهم في الحياة فيما فيه مخالفة لشرع الله تعالى وسنة نبينا عليه الصلاة والسلام هذا لا يجوز، ولكن الأمر النبوي هو أمرٌ بالمخالفة أي: مخالفتهم أي: في نهجهم وسلوكهم. فمخالفة الكفار أصل من الأصول الشرعية ولعلك تستغرب ولكن إليك الدليل: قال المفسرون للحديث: (إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم) متفق عليه، قالوا: لو أن القضية خاصة تخص الصباغ فقط لقال: إنهم لا يصبغون واصبغوا أنتم... لكنه عليه الصلاة والسلام لم يقل ذلك، قال: لا يصبغون فخالفوهم. فَعَلِمَ من هذا أن الأمر العام هو مخالفة اليهود والنصارى، وأن مخالفتهم هي الأصل، وأن صباغ الشعر هو فرع من الأصل، فإذا كانت المخالفة أصل من الأصول فأكبر من هذا هو مخالفتهم في الأمور المنهي عنها شرعاً. مثال ذلك: عن ابن عمر رضي الله عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ عن القزع» متفق عليه، (القزع): هو حلق الشعر من جانبي الرأس، وترك الوسط بشعره الطويل، أو حلق الوسط وترك جانبي الرأس بالشعر الطويل، أو جعل الرأس عن طريق الحلاقة شوارع وممرات، فهذا أمر حرام والكفار يفعلونه، فصرنا نقلدهم ونتشبه بهم، فارتكبنا الحرام بأن فعلناه، وارتكبنا حرام بأننا قلدناهم، وتشبهنا بهم، وارتكبنا معصية بأننا ما خالفناهم لأن مخالفتهم أصل.

وأريد أن أنوه إلى نقطة: وهي أننا لا نتكلم عن تقليد الكفار في الأمور التي فيها فائدة، فهذا أمر مندوب وواجب لأن فيه مصلحة للمسلمين، فكل ما فيه مصلحة وفائدة للمسلمين فهذا جائز، أما التشبه بهم في طريقة حلاقتهم وتعريضهم وكلامهم البذيء والغش والخداع وما إلى ذلك فهذه أمور بالأصل مخالفة لديننا وتعاليمنا، ومخالفة لفطرتنا وشخصيتنا المسلمة ومنهي عنها ونحن مأمورون بمخالفتها.

وصار من حبنا في تقليدهم أننا نرتكب المحرمات ونحن لا ندري! فهذه فتاة ترتدي جينز مكتوب عليه (Let us go. Let us do it)، وهذا رنة تلفونه أغنية فلان وفلان، وهذا حديثه ماذا أهدى فلان في عيد الحب أو عيد ميلادها، وهذا يجمع ألبومات المغنية الفلانية، وهذا أو هذه لا يستطيع أن يفارق كلبه فهو صديقه، حتى البرامج التلفزيونية صارت نقلاً وتقليداً مباشراً عن المسلسلات الغربية، حتى الأكلات وأطباق الطعام، لا نريد بديلاً عنها... فإننا لله وإنا إليه راجعون.

أيها المسلمون، قال ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» متفق عليه. فاتقوا الله وعودوا إلى ربكم، عمّروا مساجدكم بالعبادة وقراءة القرآن والتدبر، عليكم بصلة الرحم، والعفو والمغفرة والتسامح، عليكم ببر الوالدين، وإرجاع الحقوق إلى أصحابها، عليكم بضبط اليد عن الحرام، وضبط اللسان عن السباب والشتائم وقول المنكر والوقوع في أعراض الناس وذمهم والتنقيص منهم، والغيبة والنميمة والكذب، وضبط الأعضاء فإنها شاهدة عليكم يوم القيامة، ومن يخطئ فليستغفر وليتُب إلى الله، وليفعل الصالحات، وليتضرع إلى الله تعالى بصدق وعزيمة، ويدعو ويكثر من الدعاء، وليكثر من النوافل. أدعوه تعالى بأن يغفر لنا ويرحمنا ويتقبل منا ويردنا إلى ديننا رداً جميلاً.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

